

وسائل الإعلام وأثرها في سلوك المسلم الواقع والمأمول

Media and its impact on Muslim Behavior
Reality and hope

د. محمد إقبال*

Abstract:

Media in its comprehensive definition is the process of spreading facts and news honestly to serve the public interest, which is characterized by honesty and objectivity, and its goal of growth and vigilance and cultural and civilizational harmony, and raise the level of public opinion enlightenment and education. It is hard to deny that the media today is one of the most dangerous means of influencing individuals in behavioral and intellectual ways. After the development of its printed, audio and visual means, it became mass media, directed at millions of people at the same time. However, practically the use of Media is at variant with its theoretical concept and it is generally used for propaganda means, deception against the opponents. The State utilizes media for creating false consciousness to consolidate its authority over the masses. It is often argued that the European media is being used to corrupt the Muslims identity, culture and civilization. The Western Media leads the Muslims to destruction of their religion and morals. This proposed article examines the process of the media in the light of Islamic ethics in detail. This paper has been divided into the preface and three sub-chapters and conclusion. The first sub-chapter deals with the impact of the media on the behavior of the Muslim. The second sub-chapter examines the schools and the different media theories, including the reality of Islamic media theory. The third section also takes care of the transformation of the various media into means of propaganda, not media. The conclusion comes with the most important recommendations and proposals.

Keywords: Religion and Media, Muslim Ethics, Europe hegemony, Media and Behavioral Change

*أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الإعلام هو عملية نُشر الحقائق والأخبار الصادقة لخدمة للمصالح العام، وهي تتصف بالصدق والأمانة والموضوعية، وهدفها كل من النبوة واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري والارتقاء بمستوى الرأي العام بتنويره وتثقيفه. فهذه المفاهيم هي التي يدرسها التلاميذ في الجامعات والمعاهد العلمية لاتوافق واقع الإعلام اليوم في الشرق والغرب لأنها لا تطبّق على الإعلام الأمريكي والشيوعي والأوروبي لهذه المفاهيم، لأنه لا يقول الصدق، ولا يتّسم بالأمانة والموضوعية في الأنظمة الاستبدادية القمعية، العسكرية منها وغير العسكرية، وأيضاً يعرفه كلُّ مسلمٍ واعٍ؛ لأنه اكتوى بنارها، ووصله شررها وشرّها، وأنها لم تُحقّق ولا نقطة واحدة من مفهوم الإعلام المذكور؛ لأن وسائل الإعلام المختلفة لدول الشرق والغرب تحوّلت إلى وسائل دعائية لا وسائل إعلام، استخدمت الكذب والخداع والتلميح للباطل، والتعتيم على الحق، والكيد والحرب النفسية ضد الأشخاص والجماعات، وتقوم بكل هذا وهي تلبس ثوب الصديق الناصح، التقدمي العلمي الموضوعي، المحب للجميع، والشركل الشر تحت ثيابها الناعمة اللينة، والمهم هنا هل يعي المسلم ما يدور حوله، وما يُدبر له، من خطط إعلامية وغير إعلامية، ودسائس ومكر في الليل والنهار؟ والغاية من ذلك كله تدمير دينه وأخلاقه؛ ليتحوّل بعد ذلك إلى إنسان فارغ، فيبلاؤه الأعداء بكل ما لديهم من الإلحاد، والفساد والتحلُّل من كلّ قيمة أخلاقية، فيصبح إنساناً مهزوماً روحياً وفكرياً وأخلاقياً، فيسهل التغلب عليه، بعد أن ألقى سلاح الإيمان الذي به انتصر أجداده من قبل، وهذا هو واقع أكثر المسلمين اليوم، الذين ندعو الله لهم بالوعي واليقظة والعودة إلى دينهم لردّ كيد أعدائهم.

ولا ينكر أحد فيه أن الإعلام اليوم من أخطر وسائل التأثير في الأفراد سلوكياً وفكرياً؛ وذلك بعد أن تطوّرت وسائله المطبوعة والمسبوعة والمرئية، وأصبح إعلاماً جماهيرياً، يوجه إلى الملايين من الأناسي في وقت واحد، بعد أن

كان الاتصال الشخصي أو الاتصال بمجموعات صغيرة هو السائد في القرن الماضي وما قبله.

فهذا المقال يقوم بدراسة كل جوانب عملية الإعلام في ضوء الأخلاق الإسلامية بالتفصيل فأحببت أن أقسم ورتباً لعلمية إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. أما التمهيد فيتناول أهمية عملية الإعلام وتأثيرها المطلق على الفرد والمجتمع، ويبين البحث الأول تأثير وسائل الإعلام على سلوك المسلم، ويلقي البحث الثاني نظرة على المدارس والنظريات الإعلامية المختلفة ومنها حقيقة نظرية الإعلام الإسلامية. كما يعتني البحث الثالث ببيان تحول وسائل الإعلام المختلفة إلى وسائل دعائية لا وسائل إعلام. وتأتي الخاتمة بأهم التوصيات والمقترحات.

تمهيد

تعد عملية الإعلام اتصالاً بالجمهور، ولها ثلاثة عناصر رئيسية من المرسل الذي يقوم بالعملية الإعلامية، والرسالة التي تتضمن ما يقصد المرسل إيصاله وإعلامه للناس الآخرين، والمستقبل الذي يستقبل الرسالة الإعلامية، فيتأثر منه أو لا يتأثر منه. والذي نريده هنا هو هل على الفرد تأثير مطلق للعملية الإعلامية كل من الفرد والجماعة بحيث تسبب في تغيير سلوكهم وأفكارهم، أم أن أثرها يتوقف على أحوال معينة؟.

الواقع أن الفرد الذي يستقبل الرسالة الإعلامية هو لا يكون مجرد وعاء يدخل فيه المرسل أفكاره ومعلوماته، لكنه شخص إيجابي، يدري ويفهم ويؤول ويوازن، ويقيس المعلومات التي تبلغه بمقياس العقائد التي يتحملها، ومن هنا يفصل عليها، فقد يقبلها أو يغفلها. والأمر الآخر المهم في تقبل الرسالة الإعلامية هو ما مدى ثقة الناس بأخذ الرسالة، هل هو معروف بالصدق أم بالكذب؟ هل يرسل أخباراً بشكل موضوعي، أم معروف عنه

اتجاهه السائد في تشريح الأخبار والظواهر بنظرية معينة؟ فجميع الأمور
تأثير خاص في مدى أثر الإعلام في سلوك الفرد والمجتمع.

أثر الوسائل الإعلامية

نبدأ الحديث عن العنصرين الهامين، هما: العنصر الإيجابي في
الوسائل الإعلامية، والعنصر السلبي في الوسائل الإعلامية، فيشمل الأمر
الأول عدة إichاءات، فمنها:

- جمع واستقراء الإعلام المرئي بين كل من الأدوار التثقيفية والتربوية
والترفيهية.
 - مخاطبة كلتي حاستي السمع والبصر أمام المتلقي الذي يؤثر في صورة
فعالة في أخذ الانتباه، وهذا أسلوب المخاطبة من الوسائل التعليمية
الهامة المتبينة.
 - قدرته على تكميل الضرورات البشرية لمرحلة الطفولة وبخاصة حاجات
الإنماء العقلي مثل حاجة البحث وحاجة محبة العلم والاستطلاع،
وغيرها.
 - إنماء فكر الطفل وإشباع طاقاته.
- والعنصر السلبي وهو من أغلب وأكثر في البرامج التلفزيونية،
والتركيز يتم في هذا الأمر على الآثار الهامة التي تنجبها البرامج التلفزيونية
للشباب؛ ومن أخطر أسباب البرامج التلفزيونية للشباب والأطفال المسلمين
في أيامنا هذه اعتمادها على البادة الغربية بأفكارها وأصولها وتفهماتها
وسلوحياتها.
- هناك آثار سلبية في سلوك المسلم، منها:

- الأثر العقدي: وهذا يظهر في تقديم مفاهيم العقيدة والأفكار ضد
الإسلام، ومن ذلك: خلق التشكيك في عقيدة الشباب المسلمين في وجود
الله عزَّ وجلَّ بالإضافة شمولها النصوص المستنكرة حول العقيدة

- الإسلامية؛ كالتشكيك في مسألة القدر والتدبر في تدبير الله، والتكريم للسحر، وغيرها.
- الأثر الخلقى: هناك أخلاقيات لكل أقوام وشعوب العالم ولا بد من تكريمها وتبجيلها من الآخرين.
 - الأثر الأمنى: وهذا يتم فيما تنشره هذه البرامج من السلوك الذي يسبب العنف والفساد، وعدم الرعاية بالحقوق والدماء، وضعف روح انتباء الطفل لأتمته من حيث ارتباط أفكاره وسلوكه وولائه، ونصرتة لها تنشره هذه البرامج من أفكار وأصول وقيم متضادة لقيم أتمته.
 - الأثر الاقتصادى الاستهلاكى: وذلك بما تشاهده القنوات التلفزيونية أثناء عرضها لبرامجها من النعرات والإعلانات المشهورة للمنتجات المختلفة، فيأخذ الأطفال أثرها بل يتحفظون كلماتها، وتظهر عندهم رغبة شديدة في اشتراء تلك المنتجات فضلاً عن ثمنها العالية والغذائية!! وقد تتم الموافقة من الآباء على ذلك عند الإصرار الشديد.
 - الأثر البدنى: وهذا يتم من الأثر في بناء شخصية الشباب والطفل وفي صحته.
- ولا شك أن لهذه الوسائل فوائد مختلفة لا تعد ولا تحصى، خاصة في مجال المعارف والترفيه، إلا أن تلك الفوائد لم تكن خالصة، بل يختلطها كثير من المضرات خاصة على الأطفال والشباب عندما أدر كناً أن مآخذ ما يرسل من معارف وبرامج تبني في أغلب الأحيان من مختلف البيئات عن ثقافتهم، وأفكاراً، وديناً. وهذا يحملنا كله مسؤولية عظيمة حول أطفالنا بدءاً من الأسرة تتمثل في الآباء، ومروراً بالباحثين والمبشرين، ومنتهمى بالحكومات تتمثل في إدارتها المتنوعة من الإعلام والتربية والمسائل الدينية والثقافة.
- وأيضاً فإن الإهمال عن أثر مختلف الفضائيات وما يستلزمه هذا الأثر من مضرات تربوية اعتماداً على طاقة العقيدة وفطريتها؛ ليس من أسلوب

التربويين الحكماء الراغبين من حفظ الأولاد من أي فساد وانحراف، كما أنه يخالف الواقع، وقد أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه."^(١) ففكرة العقيدة لا تعني عدم قابليتها للتغيير.

والتربية الوقائية في ظلِّ المؤثرات الكثيرة حاجة شديدة لسائر الإدارات التربوية من مدرسة ومسجد ومعهد وجامعة، وخاصةً نذكر الأسرة التي هي من مؤسسة تربوية قديمة، كما أن أثرها يبدأ قبل أية مؤسسة تربوية أخرى.

عندما نتطرق إلى تأثير القنوات الفضائية على الشباب والأطفال، فإن هناك دراسات عديدة مختلفة تدل على أن أطفال ما قبل زمن المدرسة يقضون من بين الثلث إلى النصف من أوقاتهم في مشاهدة التلفزيون؛ فإذا ذهبوا إلى المدرسة يكون الوقت الذي يقضونه في مشاهدته متساوية تقريباً للوقت الذي يقضونه على كراسي الدراسة، كما أنه يستغرق الوقت الطويل من إجازاتهم؛ ففي تقرير لـ "مجلة المعرفة" التابعة لـ "وزارة المعارف بالسعودية" حول قضاء التلاميذ للإجازات الصيفية تقرّر أن ٠% من التلاميذ يضعون الأولوية لمشاهدة التلفزيون و% للقراءة.^(٢)

آثار التلفزيون الهامة

وتؤكد تلك الدراسات أن للبرامج التلفزيونية دور هام في ثقافة الشباب والطفل والأثر في طاقته واتجاهاته.^(٣) ومن آثار البرامج التلفزيونية الهامة:

١- التلفزيون وإفساد القيم

تأكدت منظمة اليونسكو على أن القنوات التلفزيونية غير الغربية تستورد منتصف ما تبنيه من المآخذ الغربية.^(٤) ومن ذلك:

- تقديم مظاهر الكفر؛ حيث يأنس الشباب من كثرة تلك المظاهر.

- استضافة الرجال السحرة والمهرة الكهان كما يجعله بعض الفضائيات وفيه خطر بارز على المراهقين.
- التشبه بالكفرة حيث إن شدة مشاهدة الأفلام المنتجة في القارة الغربية ترغب المراهق يتعجب بأشخاص الأفلام أو أساليب معيشتهم، وهذا بفطرته يجعله يجتهد التقليد. ومن المعروف قام النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالكفرة.^(٥)
- وإن مسألة أفلام الكرتون في مجال إفساد القيم وأثرها في أذهان المراهقين لا يتوقف على المسلمين فقط؛ بل اجتهدت الدول الآسيوية الكثيرة بدورها من نفس المسئلة؛ فقد نبّه خبير فنون كوري من هذه الرسوم واللعب خاصة التي تنتجها "الت ديزني" الأمريكية؛ حيث إنه قال: "إنها تكرم قيم الثقافة الأمريكية، كما تبّه من الرسوم المتحركة اليابانية المختلفة التي تقدم النظريات التشاؤمية للأمر المستقبلية وتعرض الخرافات، ودعا نفس الخبير إلى حاجة شديدة لاعتماد شخصيات وقصص كرتونية شعبية تعبر عن الذوات المذهبية والحضارية والثقافية."^(٦)

٢- التلفزيون والثقافة

- إن هناك كثيراً من البرامج الثقافية معقدة وغير ممتعة، أو ممتعة مقارنة بالبرامج غير الثقافية مما يسبب في عدم أخذ الإقبال من عامة الناس.
- إن هناك كثيراً من الناس لا يترغبون في تلك البرامج انطلاقاً من عدم حرصهم على الثقافة.
- إن البرامج الثقافية قليلة جداً في التلفزيون عندما نقارن بالبرامج غير الثقافية.
- إن كثرة البرامج الثقافية تكون في أوقات غير مناسبة، حيث تقبض البرامج الأخرى في الأغلب الأوقات الجيدة

ومقابل تلك الفوائد الثقافية المتحددة بهذه العوامل العلاقة السلبية بين طول مدة مشاهدة التلفزيون وبين القراءة حسباً أقرها بعض الدراسات.^(٤)

وعندما نتكلم عن الأمور مثل التلفزيون والأخبار، والتلفزيون والترفيه، والتلفزيون والسلبية، والتلفزيون والعنف، والتلفزيون والجنس، والتلفزيون والمجتمع. فنقول: "إن كثيراً من برامج الأطفال لاسيماً الكرتونية تنمي العنف لديهم بشكل مريع، وعلى سبيل المثال يحتل العنف % من شخصيات سلاحف النينجا و% من القط والفار و% من جرايندايزر. وتنوعت أشكال العنف الذي مارسته الشخصيات الكرتونية: % مشاجرات، و% مقالب، و% معارك، و% تعذيب، و% تهديد، وأن الأطفال يميلون لتقليد ما يشاهدونه بنسبة % للذكور، و% للإناث".^(٨)

يقول جورج غويتر الناقد الإعلامي المعروف: "إن الذين يشاهدون التلفزيون بكثرة يرون العالم أكثر عنفاً مما هو عليه، وهم أكثر شغاً من الذين لا يشاهدونه."^(٩)

المبحث الأول: أثر وسائل الإعلام في سلوك المسلم

والآن نقدم بعض الدراسات المختلفة في أماكن مختلفة عن آثار أهم وسيلة من وسائل الإعلام، ألا وهي أثر التلفزيون في سلوك المسلم، فمنها:

أ "دراسة لعلي أسعدته حول المتغيرات التربوية للمشاهدة التلفزيونية": نشرت في مجلة "جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية"، فتوصلت الدراسة إلى ما يلي:

أ يؤكد أهمية الدور التعليمي والتثقيفي للتلفزيون، وهم مكان ذلك ينعنون للمدرسة دوراً أكثر أهمية فيما يخص بهذا الدور.

ب تؤكد نتائج الدراسة وجود مجموعة واسعة من المراهقين الذين يعانون لأثر أفلام الكبار والسحرة.

ت ج هناك عدد واسع من الأسر التي لا تدرب أياً من عمليات إصلاح الاستهلاك الإعلامي التلفزيوني وتهمل أطفالها في مشاهدة الأفلام التي لا تخصهم، ومع ذلك فإن أفراد هذه الأسر لا يوجهون أطفالهم إلى مشاهدة أيّة برامج مفيدة.

تقبض الأفلام المتحركة المستوردة وهي "التي تهتم بلون العنف أولوية انتباه الأطفال، ويلاحظ ندرة البرامج التعليمية والتثقيفية التي وردت في سلم أوليات إجابات الأطفال." (١٠)

ب وتعد دراسة هلدت. هيلويت "التلفزيون والطفل" من الدراسات الهامة التي أجريت إلى الآن على أثر التلفزيون في سلوك الطفل، وقد أجري البحث على عينة بلغت من أطفال بريطانيا الذين كانت من بين عشرة أربعة عشرة من العمر. وقد أخذت الدراسة مشاكل متعددة جداً حول مشكلة العلاقة بين التلفزيون والطفل، ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

أ إن الطلاب غير المشاهدين التلفزيون يتفوقون من الأطفال المشاهدين في مستوى الأداء الدراسي.

ب والأطفال المشاهدون التلفزيون من إلى ساعة في الأسبوع.
ت وأن أكثرية الأطفال يشاهدون التلفزيون في وقت المساء مع والديهم.

ث وتبين الدراسة ضعف مراقبة الوالدين وإرشادهم فيما يخص بمشاهدة أطفالهم للبرامج التلفزيونية.

عوامل وقائية لتلقي الآثار السيئة لوسائل الإعلام

هناك عوامل وقائية لتلقي الآثار السيئة للقنوات الفضائية ووسائل

الإعلام الأخرى، ومنها:

١. التربية الإسلامية بمفهومها الجيد هي خير حل من حلول تجنب وتقليل الآثار السلبية للقنوات، ودعم الأثر الإيجابي.

٢. إعداد البيئة الجيدة في البيت والمدرسة والمسكن لحفظ فطرة الله من البداية.

٣. الثقافة الوقائية؛ حيث يلزم على الآباء تثقيف أنفسهم بعلم آثار التلفزيون على الأطفال ووسائل تجنب مضرة. تقول "إليزابيث ثومان" مدير المركز الذي يهتم بالدروس لتثقيف الآباء في صورة دورات قصيرة بعنوان: "الآباء في عصر التلفزيون" زمنها ثمان ساعات: "إذا كان الأطفال سيشاركون ٠,٠٠٠ ساعة قبل التخرج في المدارس العليا أفلا يتوفر لدى الآباء ثمان ساعات للتأكد من أن وقت المشاهدة سيكون مثمراً أو على الأقل ليس مخرباً؟" (١١)

كما يجب تثقيف الأولاد ثقافة وقائية مما في "شبكة الإنترنت"؛ وعدم التقبل بكل ما جاء فيها، نظراً لوجود كثير من القضايا الباطلة في مواقع متعددة في الشبكة، ومن ذلك:

- تحريص التحريف في كتاب الله عز وجل من خلال اختلاق قراءات حديثة.
- وجود كثرة الشبهات حول الدين الإسلامي في مواقع مفسدة.
- مواقع الدردشة المفتوحة وما تقدم فيها من تضليل وانحراف.
- مواقع إسلامية غير موثقة تقدم فتاوى مضللة أو معلومات فاسدة.
- مواقع تستخدم أسماء إسلامية لفرق إسلامية ملحدة تحتوي عقائد منحرفة.
- مواقع تحتوي منشورات ومعلومات خلاف العلماء المسلمين.
- مواقع تحتوي نشرات الجنس الفاضحة.
- وغير ذلك من طرق الإضلاع والإغواء.

٣. اکتشاف البدائل الجيدة.
٥. التربية بشكل الترويح من تدريب المراهقين جميع ما يظهر عنهم من ألعاب وترفيه بريء.
٦. التربية بالقذوة: حيث من السهل كتابة كتاب حول التربية أو اختراع نظرية، ولكن من الصعب جعله بشراً يتحرك، ومن الصعب لعامة الناس أخذ المنهج من مؤلفات وكتب، ولكن من السهل أخذها من أنموذج حي، وللتربية بالقذوة أثرها البالغ في التربية الوقائية، بل وفي هدى الأمم، وما كان إرسال الأنبياء من البشر إلا ليستهدى بهم.
٤. التربية بالتعليم: وللتعليم من دور لا ينكره أحد في التربية الوقائية.
٨. التربية بالأحداث: وفي استغلال المناسبات المختلفة؛ أخذ العبر والعظات، فالحياة أحداث ومواقف متواصلة، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها الخاصة، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها المعينة، وفي كل حدث أو موقف يخفى درس ينبغي أن نتعلمه.
٩. التعرف على ميولهم الخاصة ومواهبهم المفيدة وإنمائها، وهذا يفيد في صرفهم عن ميولهم المضرة كما سيفيدهم على تبنية شخصياتهم وإكمال ذاتهم.
١٠. تزويدهم المسؤولية، وتعليمهم إياها منذ الطفولة، والتحريض على إسهامهم فيها، ويرى معظم المربين أن إنماء الشعور بالمسؤولية عند الطفل يناسب كون الهدف الذي تريد له تربيته وتعليمه.
١١. التربية الوقائية بشكل الحوار والتعويد لهم الصراحة وممارسة عبودية النقاش في كل القضايا المفيدة، ومن ذلك أخذ المشورة في المسائل الأسرية، وإشراكهم في قرارات العائلة حسب نضجهم، واستماع مقترحاتهم واحترامها، ولكل هذا دور بارز في بناء شخصيتهم، وبناء

القواعد المفيدة التي يقررها الطفل في المستقبل، والتي تساعد في الوقاية مما يضره.

١٢. وضع التدابير الوقائية المباشرة المختلفة من خطر التلفزيون مثل:

أ تحديد المدة للمشاهدة يضعه الأطفال بإشراف الآباء برقابة خاصة منهم، بهدف تقليل أثر التلفزيون في فعالياتهم الأخرى المناسبة مثل الصلوة والدراسة والزيارات والواجبات المنزلية والنوم المبكر.

ب تعليق جهاز التلفزيون في مكان عام في البيت حتى لا تكون فرصة خاصة للوحدة من الطفل أو المراهق بمشاهدته.

ت إغلاق التلفزيون ساعة يوميًا أو يومًا أسبوعيًا أو أيامًا شهريًا أو أيام الاختبارات، وتعويد العائلة الاستغناء عنه في تلك الأيام بدون أي ضجر من ذلك بل بكل القناعة والاطمينان، وهذا ما يتم في معظم المدارس بأمريكا منها .. بواشغنتن تشجع التلاميذ على إغلاق التلفزيون والاستيحاء منه منه أسبوعًا في العام لأجل الأهمية لذلك على العلاقات الاجتماعية. (١٢)

وهناك أم أمريكية اسمها فرانسيس مورلاي علمت أن التلفزيون له خطر كبير على أطفالها، وقد كتبت خبرتها طوالعشر سنوات من الزمن وتمارست من خلالها عملاً شاقاً في تربية أطفالها بعيداً عن تشغيل التلفزيون وألفت هذه الخبرة في كتاب لها بعنوان: "ماذا تفعل بعد إغلاق التلفزيون" وصرّحت في الكتاب "فوائد نفسية واجتماعية وتربوية وثقافية التي جنتها عائلتها من عدم تشغيل التلفزيون، وأن صديقاتها اللاتي اتبعن طريقها أكدن ذلك." (١٣)

كذا يشير "هارفي ديوتيل" الخبير التربوي إلى حاجة ملحة بإغلاق التلفزيون من أجل الدراسة والقراءة العبيقة، ومن أجل عيش العائلة ومن أجل الإبداع، وفي الأسبوع الأخير من شهر إبريل م أقامت جمعية من البربين

وأولياء الشؤون في أمريكا أسبوعاً لعدم تشغيل التلفزيون على مستوى الأمصار والبلاد وأرسلوا دعوات عبر شبكة الإنترنت، وقد استجابت لذلك مليون عائلة، والهدف من هذه الدعوات هو توفير أحوال مناسبة لزيادة الاجتماعات الأسرية والقراءة والممارسة والاستمتاع بالفطرة والتفكير والإبداع والإنتاج.^(١٣)

في الغرب تنتم هذه الدعوات لأجل العائلة والقراءة والإنتاج لها في الإفراط في مشاهدة التلفزيون له آثار اجتماعية قبيحة على العائلة وسلبية على الدراسة والإنتاج، بالإضافة إلى أننا نحن كمسلمين عندنا من العوامل الكثيرة التي تسبب في جعلنا أكثر حرصاً من الآخرين كالحفاظ على ديننا وعيشتنا وثقافتنا وأزماننا.

المبحث الثاني: المدارس والنظريات الإعلامية المختلفة^(١٥)

ومنها حقيقة نظرية الإعلام الإسلامية

وللتعرف على الأسس الفكرية والعقدية لوسائل الإعلام المعاصرة؛ ينبغي لنا أن ندرس المدارس الإعلامية المتعددة، والبلاد التي تضع هذه المدارس والنظريات أساساً وتطبيقاً.

١- نظرية الحرية الإعلامية

تقبلت هذه النظرية سائر الدول، إلا أن أصول هذه النظرية تصل إلى الفكر الاقتصادي الحرية تشكيل الأحزاب، وحرية التعبير. فقد أفرزت هذه الأصول أسس نظرية الحرية الإعلامية، التي تتشكل جزئياً منها من: حرية النشر متوفرة لكل. ومليكية وسائل الإعلام للأشخاص والهيئات. والإشراف غير موجود. والمسؤول عن هذه الوسائل هو الشخص الذي يموله. هذا هو بالإيجاز الشديد عن نظرية الحرية في الإعلام. والواقع أن الحرية طبيعية في البشر، فالإنسان يولد حراً، وكذا كانت موجودة من قبل الثورات في الغرب

بمئات السنوات. بل إن الحرية (Freedom) كلمة وجدت مع وجود الإنسانية منذ سيدنا آدم – على نبينا وعليه السلام.

ونسأل الآن: هل حرية النشر متوفرة للبناء والهدم في نفس الوقت؟، وهل تعرف في حال الهدم حرية؟، وما دور الشخص المالك لوسائل الإعلام، وما أهمية احتلاله عليها؟، وأليس الغرض الأساسي لوسائل الإعلام عند أصحاب هذه النظرية هو الربح وإكثار المال؟ فأين الأهداف التربوية والروحية؟.

فالحرية عند هؤلاء تغاير ما هي الحرية في الدين الإسلامي؛ فالحرية في الدين الإسلامي محددة وغير مطلقة، وإلا كانت الدينياً فوضى. وظهر الظلم والعدوان. وتفسدت الأخلاق والفضائل.

فالحرية في الدين الإسلامي جاءت حدودها بين التقييد والإطلاق؛ أي على أساس: "لا ضرر ولا ضرار". إذن نظرية الحرية هذه بالمفهوم الغربي فاسدة لا خير فيها، وأعظم شاهد على ذلك واقعها؛ فوسائل الإعلام الكاملة في البلاد الغربية بيد مجموعة قابضة ببضعتها ونفوذها، وبما أن رأس البضعة يحتل معظمها اليهود، فقد صارت هذه الوسائل وحتى أغلبها بيد اليهودية الدولية في الغرب والأمريكا، ومن ضمنها وكالات الأخبار الدولية، التي تحتل كل الأنباء في الدنيا.

٢- نظرية المسؤولية الاجتماعية

ظهرت نظرية المسؤولية بعد أن سبب مفهوم الحرية لوسائل الإعلام فوضى إعلامية كبرى؛ وصارت وسائل الإعلام السبعية والبصرية والمقروعة وسائل إفساد وتخريب للمجتمع، والتي تعتنى أكثر بأخبار الجنس والجرائم والسينما والفسق والفجور، والخيانات الزوجية. هذه العوامل كلها أثارت مفكري الإعلام وعلماء الاجتماع إلى الهجوم على نظرية الحرية، وأوضحوا أنها مليئة بالسلبيات المضرة بصالح المجتمع، ولا بد من وجود التوازن والتناسب

بين مصلحة الأفراد ومصلحة المجتمع، فوضعت القواعد في بعض المجتمعات الأجنبية ترتب العملية الإعلامية وتجعلها مسؤولة عند المجتمع، ويتم تدخّل المجتمع عن طريق طاقة الرأي العام والاتحادات المهنية، وعن طريق الحكومة إن دعت الحاجة.

ويصرح أصحاب هذه النظرية بأنهم لا يقومون بالتحديد بهذا في حرية الإنسان، بل يُنظّمونها؛ كالشخص الذي يمشي في الطريق يلزم عليه مراعاة قوانين المرور، وإلا فإن الفوضى تسيء به وتسيء الآخرين.

هذه المفاهيم التي تنظمها هذه النظرية أي نظرية المسؤولية الاجتماعية، ممتازة، ولا عيب فيها، ومتناسبة للمفاهيم الإسلامية. ولكن أقاويل هذه النظرية لا تجوز إلا في المجتمع الإسلامي، لا في المجتمع الجاهلي الذي كان لا يفرّق بين الطيب والخبيث، الذي تقوده أهواءه الذاتية وغرائزه الشخصية، فهم كالحيوان بل هم أضل.

وبنظرة واحدة للمجتمعات الأجنبية، وحتى تلك التي اتبعت هذه النظرية، نجد مخلفاتها الإعلامية التي ترسلها للممالك الإسلامية من أفلام ومسلسلات "تلفزيونية..." إلخ سببت الفساد الاجتماعي والأخلاقي في بلادنا. وقد تصدر أصوات بعض الحكماء في المجتمعات الأجنبية تُطالب بإيقاف هذا السيل الإعلامي المفسد، مُنذرةً مجتمعاتها بالفساد الخلقي والخراب الأعى، ودعا علماء النفس والتربية والإعلام والاجتماع إلى الوعي والنظر إلى ما هم فيه، وما هم ماشون إليه، وتبقى هذه الأصوات أصوات صيحاتٍ فردية تخفى وراء أدرج الرياح، سرعان ما تتلاشى؛ لأن المجتمعات الأجنبية صارت سكرى تفيق بهزة تُزلزل الأرض من تحتها.

٣- النظرية الشيوعية

ولها مميزات خاصة بها، ولها فلسفات متفردة في التأويل المادي للتاريخ والوقائع والأحداث. وتجتهد في نشر أفكارها خارج حدود البلاد

الشيوعية. وهذه مميزات خاصة بهذه النظرية. بالإضافة إلى أن بعضها مشترك مع النظريات الأجنبية الأخرى بأسلوب الدعاية بكل أقسامها. والسوداء والرمادية بصورة خاصة، وسنتعرف على هذين النوعين عندما ندرس دعاية وسائل الإعلام المخالفة وحربها المتواصلة ضد الإسلام وعلماؤه ومبغيه. وظهرت هذه النظرية بعد الثورة الشيوعية سنة م في روسيا. وازدهرت بعد ذلك وتطورت في روسيا ومُستعمراتها في الدويلات الإسلامية، التي عُرِفَت قبل سقوط الشيوعية بجمهوريات الاتحاد السوفيتي عدواناً وزوراً.

وفي سائر هذه الممالك نجد الإعلام يخدم الأهداف الشيوعية، والدولة هي تملك كل أجهزة الإعلام؛ إذ لا ينبغي لفرد أن يتسلط جهاز إرسال أو دار نشر لجريدة أو كتاب أو أي وسيلة أخرى. ورجال الحزب الشيوعي هم المُسيِّرون لكل أجهزة الإعلام؛ لنشر أفكارهم وأقوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٢- النظرية الإسلامية

بعد تعرضنا للنظريات الإعلامية نستفسر: هل هناك توجد أي نظرية إسلامية للإعلام؟، وسؤال آخر: هل الإعلام الإسلامي يُعبر عن النظرية الإسلامية للإعلام؟

وقبل أن نُجيب عن السؤال الأول، نوضح أن الإعلام الإسلامي في معظم الممالك الإسلامية، هو إعلام بدون أهداف، وما دام هكذا، فهو لا يمشی حسب النظرية المعينة، ولم تكن عنده أية حُطَّة؟ وهذه هي أهمُّ القضايا أو المشكلات التي يواجهها الإعلام الإسلامي!. لقد تملك المسلمون الوسائل الإعلامية، وأنفقوا كثيراً على أجهزة الإعلام والإذاعة، وعلى الجرائد والصحف والدوريات والمجلات.

والنقطة الأخرى يأن الإعلام الإسلامي لا يزال يكون ترجمةً لفظية إماً للإعلام الأجنبي الصليبي أو للإعلام الشيوعي المُلحد، أخذاً نظرياتهم

كلها، أو هو يخلط فيتناول شيئاً من هذه النظرية، وآخر من نظرية أخرى، فيقصد الثوب المرقع. ولعل الثوب المرقع يكون جيلاً؟

هذا ما هو في نظري عن الإعلام الإسلامي. ويرى أن إعلام البلاد الإسلامية لا يختلف عن الإعلام الأجنبي في هذه المميزات. إذن أين النظرية الإسلامية؟ وفي الحقيقة ليس لها وجودها في دنيا الواقع. أو أنها موجود في عقول بعض علماء الإعلام المسلمين، فيمكن الجواب بنعم. ولو أنهم إلى الآن لم يتفقوا على مفهوم الإعلام الإسلامي.

أما أسس هذه النظرية، فهي مستحضرة في ذهن جميع المسلمين، ويمكن ذكرها بالإيجاز فيما يلي:

- العقيدة الدينية الصافية المتبيّنة.
- المكارم الإسلامية الثابتة.
- الدعوة إلى كلمة الله، وانتشار رسالة الإسلام؛ الوسائل والأهداف.
- انتشار العلم والتعليم والتربية في المجتمع الإسلامي.
- إنهاء الأمية العلمية.
- الإضافة في الوعي السياسي والشعور الاجتماعي.
- الترويج المفيد.

وبكلمة موجزة، فإن مادة الإعلام الإسلامي ومبدأه الأول هو الإسلام. وحتى لا نكون نظريين فقط؛ فإننا ندعو إلى الوجود والتمكن والحضور الإسلامي في كل الوسائل الإعلامية؛ فكرياً وفنياً ومساهمة. فالوجود البشري هام جداً في هذا المجال. ولا بد أن يلقي أثرًا يومًا ما. فإذا أجدنا فنّ الإعلام وأخذنا الأسباب التي بناها الله تبارك وتعالى بعدها يمكن أن تتطور النظرية الإسلامية نظرياً وواقعياً.

المبحث الثالث: تحول وسائل الإعلام المختلفة إلى وسائل دعاية

لا وسائل إعلام

عندما ننظر إلى التعريف الشامل للإعلام بأنه "عملية نُشر الحقائق والأخبار الصادقة؛ خدمة للصالح العام، وإن هذه العملية تتَّسِم بالأمانة والموضوعية، وهدفها النمو واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري، والارتقاء بمستوى الرأي العام بتنويره وثقافته"، ونتساءل الأسئلة التالية:

- هذه المفاهيم هي التي يتعلَّمها التلاميذ في الجامعات، ولكن هل هذا هو واقع الإعلام اليوم؟

- هل الإعلام في دول الشرق والغرب له هذه المفاهيم، ويتَّسِف بهذه الصفات، ويهدف إلى هذه الأهداف؟

هل الإعلام الأمريكي والشيوعي والأوروبي له هذه المفاهيم؟

هل الإعلام في الأنظمة الاستبدادية القمعية، العسكرية منها وغير

العسكرية، ينشر الصدق، ويتَّسِف بالأمانة والموضوعية؟.

فنجيب بكل هدوء بأن هذه الأسئلة يعلم جوابها كلُّ مسلم ذي شعور؛ لأنه احترق نارها، وبلغه شرُّها، وأنها لم تثبت ولا جزئية واحدة من مفهوم الإعلام الأصلي؛ لأن وسائل الإعلام المختلفة للدول الشرقية والغربية، انصرفت إلى وسائل دعاية لا وسائل إعلام، استخدمت الكذب بالصريح والتلبيح للباطل، وتعتيم الحق، والحرب النفسية ضد الأفراد والمجتمعات، وتقوم بكل هذا وهي تقمص قميص الصديق الناصحاً لتقدمي، محب الجميع.

فهل يشعر المسلم ما يسير حوله، وما يُخطط له، من خطط إعلامية وغير إعلامية، ودسائس ومكر في الليالي والنهار؟ والهدف من ذلك كله تخريب دينه وأخلاقه؛ لينصرف بعد ذلك إلى شخص فارغ، فيملأه الأعداء بكل ما عندهم من الكفر والإلحاد، والفساد والأخذ من كلِّ قبيلة أخلاقية، فيكون شخصاً مهزوماً روحياً وفكرياً وخلقياً، فيحتل عليه بالسهولة. بعد أن ألقى

سلاح الإيمان الذي به انتصر أجداده من قبل، وهذا هو واقع معظم المسلمين في الوقت الحاضر، الذين ندعو الله لهم بالشعور واليقظة والعودة إلى دينهم لردِّ كيد أعدائهم.

ومما لا شكَّ فيه أن الإعلام أصبح من أخطر وسائل الأثر في الأفراد والمجتمعات سلوكياً وفكرياً؛ وذلك بعد أن تطوّرت وسائله المطبوعة والمسبوعة والمرئية، وأصبح إعلاماً جماهيرياً. يصل إلى الملايين من الجماهير في وقت واحد، بعد أن كان الاتصال الشخصي أو الاتصال بمجموعات صغيرة هو كان سائداً في القرن الماضي وما قبله.

خاتمة المقال

- وبعد هذه الجولة السريعة مع "وسائل الإعلام وأثرها في سلوك المسلم، الواقع والمأمول"، توصلنا إلى النتائج التالية، ومنها:
- تُعدّ عمليّة الإعلام عملية اتصال بالجماهير، وهي عملية نُشر الحقائق والأخبار الصادقة لخدمة للصالح العام، وهي تتّصف بالأمانة والموضوعيّة، وهدفها النمو واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري، والارتقاء بمستوى الرأي العام بتنويره وثقيفه.
 - الإعلام اليوم من أخطر وسائل الأثر في الأفراد والمجتمعات سلوكياً وفكرياً؛ وذلك بعد أن تطوّرت وسائله المطبوعة والمسبوعة والمرئية، وأصبح إعلاماً جماهيرياً. يصل إلى الملايين من الجماهير في وقت واحد.
 - إن الإعلام الإسلامي في معظم البلاد الإسلامية مع الأسف الشديد، هو إعلام بدون أهداف ولا قضيّة، وما زال هكذا، فهو لا يمشی وَفْق النظرية المعينّة، ولم تكن عنده حُطّة.
 - إن وسائل الإعلام المختلفة للدول الشرقية والغربية، انصرفت إلى وسائل دعاية لا وسائل إعلام، استخدمت الكذب الصريح والتلميح للباطل، وتعتيم الحق، والحرب النفسيّة ضد الأفراد والمجتمعات،

وتقوم بكل هذا وهي تقمص قميص الصديق الناصح لتقدمي، محب الجميع.

توصيات

- إن هذا المقال يقوم أيضاً بعدة توصيات، فمنها:
- دعوة الجهات التربوية والإعلامية والمالية إلى إنشاء مؤسسات إنتاج متميزة ومنافسة تقدم برامج الشباب تحت الإشراف المباشر للتربويين المؤهلين.
- دعوة طلاب الأقسام الإعلامية إلى دراسة أثر وسائل الإعلام في التربية، واقتراح مشاريع رائجة لعمل المعالجة، وتربية الكوادر التربوية للتعامل مع وسائل الإعلام.
- تنظيم الدورات المكثفة لجمهور الناس حول الطفولة والشباب ومميزاتها النفسية، والاهتمام بالتربية الوقائية.
- دعوة الأقسام التربوية إلى التواصل مع وسائل الإعلام الحديثة، مثل: الإنترنت، والفضائيات العربية، ومخاطبتها للإضافة في البرامج المفيدة، والقضاء على ما يضيع الشباب تربوياً لمختلف المشاهد.

المصادر والمراجع

- ^١- مسلم بن حجاج القشيري: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى "كل مولود يولد على الفطرة"، (حديث مرفوع)، رقم الحديث: ٢٨٠٩.
- ^٢- مجلة المعرفة، العدد ٢٢، ربيع الأول، ١٤١٨هـ، وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ص ٥٢.
- ^٣- الشتوت، خالد أحمد: دور البيت في تربية الطفل المسلم، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ١١٠.

- ٢- ذوقان، د. عبد الله عبيدات: الفضائيات والآنترنت معالجة السلبيات لى الناشئة تعزيزاً للإيجابيات، ضمن ندوة التربية الوقائية، مكتب التربية العربي لدول الخليج المنفذة في جدة، ٨-٩-٢٠٠٣/٢٠٠٣هـ، ص: ١٥.
- ٥- مجلة الحرس الوطني، العدد ١٠٦، ذو الحجة ومحرم وصفر ١٤٢٢/١٤٢٣هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ٣٢-٣٨.
- ٦- مجلة الأسرة، عدد ٩٦، ربيع الأول، ١٤٢٢هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ٢٣.
- ٤- آثار مشاهدة التلفزيون على تنمية عادة القراءة عند طلاب وطالبات المرحلة الابتدائية، كلية المعلمين بالدمام، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٤٤، ٦٣.
- ٨- معوض، محمد: الأب الثالث والأطفال الاتجاهات الحديثة لتأثيرات التلفزيون على الأطفال، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط١، ١٤٢٠هـ، ص ٢١، ٢٤، ٣٨.
- ٩- مجلة الأسرة، عدد ٢٠، رجب، ١٤١٤هـ، ص ١١.
- ١٠- مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ٨، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١) ص ٣٠٦-٣٠٤.
- ١١- مجلة الأسرة، عدد ٢٠، رجب، ١٤١٤هـ، ص ١٣.
- ١٢- مجلة المعرفة، عدد ٣٤٤، ربيع الآخر، ١٤١٤هـ، ص ٤٨.
- ١٣- مجلة الأسرة، عدد ٢٠، رجب، ١٤١٤هـ، ص ١٣.
- ١٤- انظر مجلة الأسرة، عدد ٢٠، رجب، ١٤١٤هـ، ص ١٣.
- ١٥- انظر: حمزة عبد اللطيف: الإعلام: له تاريخه ومذاهبه، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط١، ٢٠٠٢م، القاهرة.